الروحي لهؤلاء اليهود ، وكل ما هو مقصوص في الرواية المتعددة الابعاد ، والعالم الخارجي بأحداثه ومناظره ، مرتبط كله بالعالم الداخلي لابطال الرواية والروح التي تسود هذا العالم .

بيت الآباء والمعلمون والقيم اليهودية

ان رجال تسيكلاج يجرون بأفكارهم ومحادثاتهم ، في قصصهم وأوصافهم بعيدا عن الاستحكام الذي يتمركزون فيه ، وبعيدا عن الفترة القصيرة التي دارت خلالها المعركة ، والكتاب مكدس ومليء بالرجال والاعمال ، وبالمناظر والاحداث ، وبوجهات النظر والامزجة ، التي تضم العالم بأسره . لقد كان عام ١٩٤٨ هو عام دخول محاربي تسيكلاج الى الحياة ، وبداية اتصالهم بالواقع في العالم على ما هو عليه ، دون حاجز المدرسة ومنزل الآباء . وكان هذا اللقاء الاول الذي يتم دون وساطة مع العالم هو اساسا بالفعل لقاء مع القتل والتخريب في الحرب ، ومع الموت الذي يضع وجودهم وحياتهم نفسها على كف الميزان في كل وقت وفي كل لحظة . وابطال الرواية الشبان يعودون بذكرياتهم وبمناقشاتهم في كل مرة الى الآباء والمعلمين ، الذين كانوا يحتمون في ظلهم ، ويمنحونهم الامان والحماية ، تلك الحماية التي اصبحت تنقصهم الآن في تلك المعركة الخطيرة . وهذا الابتعاد عن منزل الاباء ، يجعل الرؤية بالنسبة للاشياء أكثر حدة ، ويجعل الاحساس بها موضوعيا وأكثر صحة عما كانت عليه في الايام الغابرة . وهكذا فان القيم والمثل التي لقنها الآباء للابناء من خلال الطليعية التي عاشوها في الارض المغتصبة بعد مجيئهم اليها مما يسمى بالمنفى ، والاسس الايديولوجية التي حرص المعلمون على أن يمسك بها هؤلاء الفتيان لتكون لهم زادا لدى انخراطهم في سلك العمل الصهيوني ، كل هذا يتعرض لاهتزاز قوي ولمراجعة شاملة تحت هدير المدافع ، وعلى صوت أزيز الرصاص ، ولدى رؤية الاصدقاء والرفاق وهم يلفظون أنفاسهم الاخيرة ، وهم في وسط كل هذا في حيرة من أمرهم .

ومن بين الاشياء التي تثير التأملات والافكار الصعبة للغاية في قلب أبطال « أيام تسيكلاج » ، ذكرى التعليم الذي حصلوا عليه في المدرسة — بأن الموقف النقدي تجاه الاب والام قد أضعف الى حد غير قليل من ذلك الحب العميق الذي كانوا يكنونه لكل من الاب والام . وليس الامر كذلك بالنسبة للمعلمين: « هل تقولون المعلمين ؟ تلك الوجوه ! ما الذي لم تقتله لنا ؟ « العهد القديم » ، بياليك العلوم الطبيعية ، كل شيء وبموضوعية: اننا لن نعود الى فتح هذا مرة أخرى ولن ننظر اليه . لقد انتهينا منه ... ان كل ما هو موجود بنا موجود بنا بالتعليم وبدونه ، بل على العكس ، فانه اذا كان هناك بنا شيء حقيقي — فانه موجود بنا بالذات على عكس ما أرادوه منا » (ص ٣٧٣ — ٣٧٤) .

تساؤلات ؟ ما هو الشعب اليهودي ؟

وس. يزهار يطرح الكثير من الاسئلة التي أزعجته وأزعجت ابناء جيله في عام ١٩٥٨ على لسان أبطاله بالنسبة لاشياء ومفاهيم وقيم كانت من المسلمات والبديهيات التي تربى عليها جيل يهودي سابق ولقنها للجيل التالي له ، وهو الجيل الذي يمارس الآن في حرب ١٩٤٨ ، حيث تدور أحداث الرواية ، مهمة اغتصاب الارض الفلسطينية ، وعملية قتل الانسان العربي . ومن هذه التساؤلات ذلك التساؤل الخاص بكنه الشعب اليهودي . ان يهود الشتات (الدياسبورا) هم الغالبية العظمى من اليهود ، وكان من المستحيل الا يتحول الاستهزاء بهم في الكثير من الحالات الى استهزاء باليهودية بأسرها . وهنا نقرأ تلك السطور التي تعج بالتساؤلات المحيرة لابطال يزهار : « حب الشعب اليهودي ! آه ، حقا ، تعالوا لنتحدث لحظة في هذا . الشعب اليهودي ! اي شعب يهودي ؟ حب الشعب اليهودي ! من يحبه ؟ ألسنا نهرب مثل ذوي العاهات من كل ما هو يهودي ...